التنازع في قصيدة (العزلة وقرينها) للشاعر فوزي كريم دراسة نصية

د.إخلاص محمود عبدالله
جامعة الموصل / كلية الآداب
ekhlas_m79@yahoo.com

تاريخ التقديم: ٣١٥ في ٢٠١٧/١٠/٩
تاريخ القبول: ٢٧٨ في ٢٠١٨/٦/٥

الملخص:

يتضمن بحثنا المعنون بـ:((التنازع في قصيدة العزلة وقرينها للشاعر فوزي كريم دراسة نصية)) دراسة نصية للقصيدة والبحث في موضوع التنازع الذي يشكل الركن الاساس فيها؛ لأن القصيدة تقوم على الصراع المحتدم بين أمرين وكذا أمر التنازع، فجاء بحثنا على محاور ثلاثة هي:

١. التنازع بين الثبات والتحول: ثبات العزلة وتحولات الموت، فالتحول يحدث في الإنسان، والكائن الحيواني، والفضاء الزمكاني والسمة الحوارية.
٢. دلالة التنازع في دواخل القصيدة: كيف تشكل التنازع دلاليا في مقاطع القصيدة.
٣. التنازع بين دلالة الانفصال والاتساق: الاتساق يظهر بـ الإحالة بالضمائر، وأدوات العطف، والاتساق المعجمي.
الكلمات المفتاحية: التنازع، الاتساق، الانفصال، دراسة نصية.

Conflict in Al-Ozla wa Qaryniha (Isolation and its Peer) poem by Fawzi Kareem poet – Textual Study

Dr. Ekhlas Mahmoud Abdullah
University of Mosul - College of Arts
ekhlas_m79@yahoo.com

Abstract:

The paper entitled "Conflict in Al-Ozla wa Qaryniha (Isolation and its Peer) poem by Fawzi Kareem poet – Textual Study" consists of a textual study of the poem and investigates conflict topic which represents its cornerstone. The poem is based on the conflict between two matters and that of the conflict as well. The paper attends to three issues:

1. Conflict between stability and change: The stability of isolation and change of death. Change happens in the man, animal and space-time domain.
2. Conflict connotation within the poem: How is conflict semantically formed in the poem stanza?
3. Conflict between the connotation of separation and that of coherence: Coherence appears in reference to pronouns, additives and lexical coherence.
Keywords : Conflict, Coherence, Separation, Textual study.

القصيدة: العزلة وقرينها

((أقترح العزلة تسكنها،

في منأى عن أهوائكْ

والموتَ تعانقه طيَّ ردائك.

محترساً من عين رقيبٍ

لا يُحسن فهم أدائكْ

أهواء المرء وليدةُ مجرىً لا يهدأ

والعزلة ماءُ غديرْ،

يتآخى في زرقته الـــ أحسنُ والـــ أردأ

والخيرُ والشريرْ.

لو أن الموت اختلسَ طريقاً

في السرِّ إليك

سيصير عواءً أخرس، أنياباً ومخالبْ

ولكي لا يصبح بينكما مغلوبٌ أو غالبْ

شرّع لرسولِ القدرِ ذراعيك.

ما أجمل ذكرى من أحببتَ، إذا ما ضعتَ بغاباتِ الذكرى

من دون دليلْ.

ما أوحشَ هذا الجسدَ الضيقَ بالمحن الكبرى،

أو أرحبَ موتكَ حين يصير مجرَّتك الأخرى،

في متسعٍ لا يتناهى

االعزلةُ ماءُ غديرْ

يتأملُ فيها النرجسُ فتنته وزوال شبابه

والموتُ مناجاةٌ للجسد تهدْهده

وتُهوّن من أتعابِه.)) [١]

تمهيد في دلالة عنوان البحث والقصيدة :

ـ في معنى التنازع:

ينحصر معنى التنازع لغةً بـ: تخاصموا، واختلفوا، وتشاوروا،يقال تنازعه الضحك والغضب، وكان سريع الانتقال بينهما، وتنازعته الهموم أرهقته، وأثقلت عليه، والتنازع الصراع والتعارك على البقاء[٢]. فإذا كان سريع الانتقال بين أمرين، نرى ذلك في النص من سرعة الانتقال من المعنى الإيجابيّ إلى السلبيّ للعزلة، ومن صورة إلى أخرى مختلفة ومناقضة عنها، ومن هذا فالتنازع يحتوي على أمرين يتنازعان معاً في إضفاء دلالة ما يختص بها الشاعر في نصه الشعري، وإذا كان من باب الصراع بين أمرين، فهو يخدم معنى الصراع مع الموت، وأهواء الذات.

إنَّ التنازع في النحو هو وجود عاملين فعلين أو اسمين يعملان في معمولٍ واحدٍ متأخر[٣]. وإذا ما سحبنا هذا المعنى إلى ما نريده وفي عملنا هذا أخذنا المعنى العام للتنازع. وهنا يوجد معنيان للعزلة يشدانها باتجاهين متعاكسين، الأول إيجابي والثاني سلبي. كما يولد التنازع صراعاً بين اثنين، وهذا ما يدل عليه معنى القصيدة وعنوانها، وإذا كان كذلك فالتنازع بين العزلة وقرينها لمعمول واحد، وهو (الموت)، أو التنازع بين معنى العزلة السلبي والإيجابي أو التنازع بين العزلة وقرينها.

ـ في معنى تسمية القصيدة (العزلة والقرين):

العزلة: تعني الابتعاد أو التنحي جانباً ،وإيثار حياة التفرد على الجماعة والانعزال[٤].

ويرى بعضهم أنَّ للعزلة فوائد، مثل: صفاء الذهن، والتفكير، وفرصة مراجعة النفس، واسترجاع الذكريات[٥]. وبهذا ترنو نحو الإيجابية. فهي عقوبة وتطهير، وكلّ حياة مسكونة بجدلية الميلاد والموت تجربتان للعزلة[٦]. و((العزلة هي أساس الوضعية الإنسانية، لأن الإنسان يحن إلى المشاركة، ويبحث عنها، فهو كلما شعر بذاته شعر بها كحاجة إلى الغير وكعزلة)) [٧].

وبهذا يتنازع أمران فتظهر العزلة بناحيتين إيجابية وسلبية، فالعزلة والابتعاد كي نتطهر ونعود إلى العيش بين الناس، فـ((هي حركة مزدوجة، حركة خروج وعودة)) [٨].

وإذا كان الشاعر قد اعترف بعزلته عندما قال: ((إني شاعر أنتسب للظل والعزلة الشعرية عن إرادة.)) [٩] فهو بذلك يسحب العزلة نحو شعره، إذ جاءت في هذا النص إرادية بفعل الاقتراح فيها أي بعد التفكير والتدبر، فعندما لا يستطيع تغيير واقع يقترح العزلة أو نوعاً من الخلاص عن طريقها، كأنما اقترحها وصفة علاجية يقدمها للذات الإنسانية.

فشعرية كلمة (العزلة) تكمن في البوح عن الذات الإنسانية المثقلة بالهموم، إذ توحي بأن هناك انفصالاً إرادياً عن الآخرين تطلبه الذات وترنو إليه، فيقع التنازع بين إرادة الانفصال/ القطعية والاتصال/ المواصلة. وكأن الشاعر إذ يقترحها إنما يضعنا على أعتاب هم جديد يطالعنا هو بعتبة الدخول في عالم جديد يشعر المرءُ إزاءَهُ بالضياع والسعة، ظنّاً منه أنه يقدم حلاً يمضي بنا في مواجهة الهموم، والتخلص منها.

إنَّ معنى (القرين) لغوياً هو: صاحبك الذي يقارنك، وقرانى الشيء كقرينه، والقرين النفس[١٠]. فيظهر لنا القرين بما يشبه العزلة، فهو قرينها، ويجمع الشاعر بينهما؛ لأن هناك ما يشبهها ويماثلها، نتعرف عليه في نصِّ القصيدة، عندما نرى لفظة (الموت) تتصدر بتكرارها الرباعيّ المتغير، وهو عدد مقاطع القصيدة أيضاً مقابل تكرار العزلة الثلاثيّ الثابت، ونلمح كذلك لوناً من ألوان الصراع بين العزلة وما يماثلها في العدد (تكرار ثلاثي للعزلة/ تكرار رباعي للموت) والتحول بين الثابت والمتغير (العزلة والموت)، فالعزلة تأتي بصيغة ثابتة، والموت يتغير بين الإنسانيّ والحيوانيّ والزمكانيّ والحواريّ. وما هذا التغير إلاّ ليشعرنا بمدى التدرجات في الصعاب التي يواجهها الإنسان.

إنَّ معنى القرين في القرآن الكريم قد يأتي في الجزء السلبي كما في قوله تعالى: (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانَاً فَهُوَ لَهُ قَرِينْ) [١١]. وإذا كان القرين يحمل المعنى السلبي، فهو في القصيدة يمثل الجزء السلبي من العزلة، فيأزّها بالأهواء، وينغص عليها سمو صفوها، على الرغم من أنه يحمل في طياته بعضاً من الإيجابية في الإبحار مثلاً بذكرى من تحب، والعزلة أساساً تحمل في جنباتها هذه الثنائية من الإيجابية والسلبية ولابدَّ لقرينها أن يتصف بها كذلك.

المحور الأول/ التنازع بين الثبات والتحول:

١- ثبات العزلة وتحولات الموت:

يوحي هذا العنوان بوجود تنازع بين الثبات والتحول، نراه عندما نتطرق إلى معاني القصيدة. فإن اسم العزلة قد يكون ثابتاً ومعيناً، أما الموت؛ فهو متحول متغير متضمن أمور كثيرة، ولهذا أطلق الشاعر كلمة (قرينها) دالاً عليه؛ لأنَّ القرين قد يتغير ويتحول.

أما عن وجه التماثل بينهما فالعزلة والموت انقطاع، وإن كان يظهر برموز شتى في القصيدة، وإن أظهر الشاعر اللفظة الصريحة في العنوان (العزلة) وأخفى اللفظة المقابلة لها، وقال: (قرينها)؛ لأنَّ القرين مخفي يمارس فاعليته بسر وخفاء وتعدد، وهذا ما يفسر تحولات القرين/ الموت في القصيدة أيضاً.

٢- تحولات القرين/ الموت في القصيدة:

جاءت تحولات القرين في القصيدة بأشكال متعددة، هي:

أ/ **الإنسان:** كما في قول الشاعر:

((والموت تعانقه طي ردائك

محترساً من عين رقيب)).

يرمز هنا إلى الأهواء والهم والمتاعب، فيتضمن معنى صراع الذات مع الأهواء الداخلية، بعيداً عن الرقيب؛ كي لا يعرف بأعبائك، كما يرمز إلى الأحاسيس والمشاعر التي غيبت، ويجنح إلى صراع داخليّ عندما يحول الحالة السلبية (الموت) إلى صورة لحالة إيجابية من الحب.

ب/ الكائن الحيوانيّ كما في قوله:

((الموت اختلس طريقاً

في السر إليك

سيصير عواءً أخرس، أنياباً ومخالبْ))

يتحول صراع الذات الداخليّ مع الموت إلى تشكيله خارجياً عبر صورة الكائن المفترس، كما يتضمن صراع الزمن بين الماضي والحاضر.

ج/ فضاء زمكاني يصبح الموت متسعاً بعكس الجسد في:

((ما أوحش هذا الجسد الضيق بالمحن الكبرى

أو أرحب موتك حين يصير مجرتك الأخرى

في متسعٍ لا يتناهى!)).

هنا صراع بين الاتساع والضيق، إذ يتحول إلى مجرّة مكان متسع في مقابل ضيق الحيز الآخر المتمثل بالجسد، فالموت وسيلة لنقل الروح إلى عالم أرحب. فلا يخفي الرغبة في الهروب من ارتباط الذات بجسدها، والانطلاق إلى فضاء ارحب، هو فضاء الروح وسعته، فيطرح ثنائية ضدية بالحياة والموت.

د/ سمة حوارية كما في:

((الموت مناجاةٌ للجسد تهدهده

وتهوّن من أتعابه.))

الموت يريح الجسد من أتعابه ليستطيع التواصل مع جوِّ العزلة؛ لتستمر اللعبة قائمة بين الموت والآخر. والانتقال إلى حيز زمكاني بانتقال الروح لهذا الحيز الجديد، تنتقل الروح عبر الموت إلى فضاء آخر يريح تعب الجسد. فيمتلك سمة حوارية، يتحول إلى مناجاة حوار عبر الانقطاع عن الآخرين للتواصل مع الذات بالمناجاة، والانتقال عن مكان والحضور في غيره، الانقطاع عن المكان المليء بالحياة للانتقال إلى مكان آخر مليء بالموت، ليحرك ثنائيات (التواصل والانقطاع / الحضور والغياب).

نرى تحولات الموت في مقابل ثبات العزلة في:

(العزلة ماء غدير) في لحظات التأمل تُظهر الحقيقة ومرور الزمن، فالعزلة انقطاع الفرد عن الآخرين، وتعني انقطاع زمن الذات عن زمن التواصل. فإذا كان الموت/ القرين يماثل العزلة ويساويها فهو بذلك ينطوي كما تنطوي هي على تنازع بين أمرين ومعنيين؛ أحدهما: إيجابي، والآخر: سلبي.

٢_ التنازع بين الشاعر والمتلقي:

إنَّ الشعر ملاذ يفرغ فيه الشاعر ما يتنازعه من ثقل الأحاسيس وهموم الحياة، فتتنازع الشاعر أموراً كثيرة؛ ليفضي به الحال لإنتاج قصيدته التي يتنازعها الثنائيات (التواصل والقطيعة/ الاتصال والانفصال/ المتحرك والساكن وإلخ...) فترسم الناحية الإيجابية والسلبية، وهكذا هي الحياة تسبر غورها المتناقضات التي تأتي بصيغة نسبية بالنسبة للأفراد.

إنَّ المتلقي تتنازعه اشياء عند استقباله القصيدة، إذ يصطدم بين بساطتها في تراكيبها وطريقة عرضها وكثافة مفرداتها وصعوبة الفكرة التي تتشظى دلالتها داخل النص؛ لأنَّ الشاعر ((حين

يتفحص أشياء الحياة ومواقفها فإنه في الغالب لا يفتت كثافتها بالاستطراد، ولا يهتك دلالاتها الخفية بالمباشرة بل يلمسها برهافة.)) [١٢]. فذات الشاعر المأزومة وقعت بين أمور شتى جعلت منها تتأرجح بوضعيتها البينية للثنائية بإيجابياتها ونقيضها.

وإن الاقتراح في القصيدة جاء بخطاب للآخر الذي يقصد به ذاته، ويتنازعه أمران، إما الأخذ به وإما تركه، لكن الشاعر يكمل عرضه المقترح بالذي سيحدث للذات عبر أخذها به، وكأنه على يقين بأن الموافقة آتية نتيجة فقدان الحلول الباقية أو صعوبة المحن التي تواجهها الذات، فلا مفر من قبول هذا الاقتراح .

المحور الثاني/ دلالة التنازع في دواخل القصيدة:

نشرت هذه القصيدة في مجموعة (قصائد من جزيرة مهجورة)، ومن عنوانها نلمح التعالق بين عنوان المجموعة والقصيدة، فيفضي عنوانها بالعزلة إلى مسارب النص، فأين بنا تمضي عزلة فوزي كريم ؟! فهل هي عزلة حقيقية عن المجتمع للانتقال إلى مكان آخر، إذ تتشكل بنوع جديد تأتي بالانفصال والانقطاع عن الآخر، أو مفترضة تتمثل بعزلة المشاعر والأحاسيس، أو عزلة الموت/ الانقطاع الجسدي عن الآخرين.

جاءت القصيدة بأربعة مقاطع اختزلت هماً وجودياً أثقل كاهل الذات الإنسانية التي تلجأ إلى دورة متواصلة بين الحياة والموت، والمد والجذب بينهما في الحياة التي تحياها في هذا العالم المليء بالتناقضات.

يتم اقتراح العزلة من الشاعر، لكنها مشروطة بالبعد عن الأهواء، فالعزلة هي جوهر القصيدة، وتبدأ في التأمل لـ(أقترح العزلة)، فدلالة العنوان واضحة، وتسربها بنحو جلي، وما هذا الوضوح إلا ليضعنا في تأمل من نوع جديد للثنائية المكتنزة الجوهر في العرض، إذ يظل القارئ معلقاً بين إشاراتها المتضمنة بالسلب والإيجاب، وهذا الاقتراح يضمر في مكنونه التخير في الأمر للخلاص من وضع ما، والعزلة تنسج حشداً كبيراً من الألم العميق الذي تتعرض له الذات الإنسانية مما آل بها إلى التفكير بهذا الاقتراح للخلاص، فتفصح القصيدة من أول دالة (أقترح) عن هذا الجو ظنّاً من الشاعر أنه يقدم علاجاً ناجحاً على سبيل الاقتراح، وإذا ما بدأ بالحل عبر الاقتراح، فهذا يوجب افتراضاً أنَّ الأزمة محتدمة في ذاته، وتفرز هذه الصورة سؤالاً في ذهن المتلقي نحو أي مكان سيكون البديل ؟ ولماذا هذه العزلة ؟ مشخصاً طريقاً تتبناه الذات المؤولة لمليء فجوات ميدان هذه الاسئلة.

ـ في المقطع الأول:

يفتح الفعل (أقترح) فاعلية العزلة؛ ليحركها في مسارب النص، ليفتح باباً آخر لفعل السكنى ويعني الاستقرار أو الركون إلى (العزلة) والعيش في حياة صافية عبر هذا الاقتراح، إذ وجد حلاً لمشكلة يعانيها، هي دعوة يطلقها ليسكن عزلة بعيدة عن الأهواء التي لا تسكن أو يسكن أزيزها؛ لأنها ترنو إلى الإيجابية نوعاً ما، والدليل قوله: (العزلة ماء غدير)، والماء يرمز إلى الحياة والغدير إلى الصفاء والنقاء، ومن ثم فهي وسيلة تنقية، يحاول عبرها التخلص من المشكلات عبر تصفية الذهن، وعدم انشغاله بأمور الحياة.

يتم في هذا المقطع صراع الموت مع الجسد باختلاطه بفعل من أفعال الذات الإنسانية التي تدل على المحبة (تعانقه)، وكأنما يضمر انطلاقة جديدة، إنما هو نوع من التنازع بين أمرين (حياة وموت) صراعاً من أجل البقاء عبر المعانقة، فأي تحقيق للمتعة إثر هذا العناق، وهل من متعة تُجنى من معانقة الموت؟!

لأن لحظة اللذة والمتعة تبدأ عند الاقتراب من الخطر المتمثل هنا بالموت في كلَّ أشكاله، فجاء التشخيص عبر جعل الموت إنساناً، وهو يرمز إلى الأحاسيس والمشاعر التي غيبت.

فأول جذور العزلة يزرعها الشاعر عن طريق الانفصال عن الأهواء وتمتد إلى الآخر عندما يخط الفرق بين الاثنين (الحركة الأهواء/ السكون العزلة) بصورة يمتزج فيها مشبهاً الاثنين؛ لأن العزلة يتساوى فيها البشر كلهم.

في فضاء العزلة تتحول الأشياء ولم تعد كما كانت من قبلُ بجو أُلفتها، فهي (ماء غدير)، والموت يتحول عبر فعل الصيرورة لمرتين إلى كائن مفترس بـ: (يصير عواءً أخرس/ أنياباً ومخالب)، كما يتحول إلى مكان وفضاء في (مجرّتك الأخرى)، ثم تستمر التحولات عندما تتحول ذكرى من تحب إلى ضياع محبب في غابات الذكرى.

والصراع والتنازع يكمن بين الثنائيات:الثابت والمتحول، والاتصال والانفصال، والداخل والخارج... إلخ، لأنَّ العنوان يظهر هذه الثنائية بحرف الواو، ويوحي بالشركة بينهما.

ـ المقطع الثاني:

في المقطع الثاني يفتح باب الصراع عبر حرف الامتناع (لو) يختلس الموت طريقاً إلى الذات، كي لا يصبح نتيجة أيّ غلبة أو خذلان يجنح إلى المساواة ، فهو يُفعِّل طريقين، هما: (اختلس طريقاً/ في السر) وفيهما معنى الكتمان والحذر، فيخدمان معنى (القرين) المخفي اسمه في

العنوان. كما جمع تشكيل الصوت واللاصوت في (عواءً أخرس) يوازي (اختلس/ السر)،لأن (الخلس) الأخذ في مخاتلة والاختلاس الاستلاب[١٣]، فضلاً عن الصورة الحركية فيهما.

يتم في هذا المقطع دخول الموت في صراع مع الجسد، هو تنازع يجنح فيه الشاعر إلى المواجهة، ويترجم الشاعر لوحته الممتزجة من الصورة – لوحته الذاتية وألوانه– والصوت (في السكون) يتظافران معاً من أجل إيصال بثه الشعوري قبل الشعري.

_ المقطع الثالث:

يتم فيه انطلاق فاعلية الروح عبر الـ(ذكرى) لمن تحب؛ ليصبح الموت للجسد مجرّة أخرى، ينتقل إليها في فضاء متسعٍ. فالتنازع قائم بين الروح والجسد، واقتراح الشاعر يأتي بترك الجسد، والسمو بالروح إلى عالم المحبة والحياة الحقّة. وعندما تنطلق فاعلية الروح تسكن فاعلية الجسد، ويقل عملها؛ ليصبح الموت مقيداً للجسد، وفضاءً ضيقاً تشله المحن.

إنَّ ما تحركه أهواء العزلة من (الذكرى) وهي نوع من العزلة الموقتة، ونتاج يتمخض عنها، فالإبحار عبر الذكرى يعد موتاً، ويصير مجرة مكانية، كأنما هو موت للجسد للانتقال عبر الروح، فهو صراع بين الاتصال بالآخر بما هناك والانفصال عن هنا، صراع بين الجسد الضيق والمتسع اللامتناهي؛ لأنَّ الشعور بالعزلة هو حنين إلى مكان انتزع منه الفرد[١٤]. فتأتي الذكرى حاملة بذور هذا المكان برائحة الأحباب.

تظهر ثنائية (المنفصل والمتصل) في الزمن من الانفصال عن الواقع والاتصال بالماضي عبر الذكرى، ويقصد به العالم المتخيل الذي يصبح رحباً واسعاً، يجتذب الذكريات، ليستطيع أن ينتقل إلى زمان ومكان آخر. إذ تتم المصالحة مع الحياة بالرجوع إلى الذكرى/ الماضي؛ لأنه يجد فيه/ فيها الحياة الحقة.

يتساوى في المقطع الثاني والثالث عدد الأسطر الشعرية، ليكتفي الشاعر بـ(٥) أسطر يتساوى فيها الموت الكائن المفترس، عندما يأتي خلسة بالذكرى التي تلمح في غفلة لمن تحب، وتسيطر على الذات، فصورة الحالة الأولى تتعادل مع صورة الحالة الثانية في فضاء العزلة؛ لتوجد تنازعاً وصراعاً بينهما يشدان الذات مرة لهذه، وأخرى لتلك ، وبهذا يصبح الموت وسيلة لنقل الذات إلى عالم آخر، متسع بعيداً عن الهموم.

_ المقطع الرابع:

تصبح العزلة طريقاً آخر يوصلنا إلى تنازع من نوع جديد، هو صراع الحياة والموت، بدء الحياة بالشباب وزوالها، ليضع لنا أمراً عندما يصبح الموت مناجاةً للجسد، وتتم المصالحة في الصراع بين الموت والجسد بقوله: (الموت مناجاة للجسد يهدهده/ ويهون من أتعابه) بعد ما كان الموت في ثياب كائن مفترس، إذ تصبح العزلة بماء غديرها مرآة تعكس الهم الوجودي بالفتنة والزوال، يقابلها الموت الذي يصبح تنغيمة حوارية تتجه بالجسد نحو الصفو والراحة، هي حالة تقابل حالة الروح السابقة الذكر في المقطع السابق.

فالعزلة ماء حياة للآخر تغذيه بالرؤية الصادقة عبر مرآة الحقيقة، والموت الذي يريح الجسد وينقيه من التعب هو وسيلة للتطهر، يمر بها الإنسان للخلاص من همه. هي انتقالات سريعة من شيء لآخر، عبر اختزال لفظي، واختزان معرفي للمعاني، مثقل بهم وجودي.

لتبقى الخاتمة الرباعية التي جاءت بالمقطع الرابع بترقيم الشاعر وبأربعة أسطر شعرية تكتنز جانباً إيجابياً، ينقلنا إلى صورة فعلية، وكأن العزلة التي هي ماء غدير مرآة ترينا تجعدات الحياة وفتنتها، وقسوة مرارتها، وترشدنا إلى فكرة الزوال والموت.

المحور الثالث/ التنازع بين دلالة الانفصال والاتساق:

يحدث النص هزة دلالية بين معنى الانفصال والاتصال، ذلك أن طلب (العزلة) قد اقترن بالذات، فهي الناطقة به لكن هذا الطلب موجه في النص إلى الآخر لمنعه عن الذات، وكأنه لا يعنيها، كونه مطلباً ثقيلاً للتحقيق.

يحدث الانفصال والاتصال في النص عن طريق التقابل بين الترابط النصي، وما يحدثه من الاتساق والانسجام الدلالي، وما يحدث من صدمة الموقف. فالانفصال والاتصال مقرونان بالرغبة، وهما بين شد وجذب في تنازع مستمر بين أمرين؛ لأنهما مقترنة بالذات الإنسانية والطبيعة البشرية، إذ لا انفكاك من العزلة طالما أن الإنسان يعيش في الحياة.

فالانفصال يعني عدم القدرة على استخدام القوى الإنسانية، ومن ثم، فإنَّ الانفصال يعني العجز واليأس عن الاستحواذ على العالم بنحو فعال [١٥]، فتضعف إرادة الذات، وتطلب العزلة عن محيطها على عكس ما كانت عليه في السابق من اتصال وتجاذب [١٦].

وفي النص نجد أنَّ الانفصال قائم بطلب العزلة، نظراً لإنفصال الشاعر عن مكان ألفته وإقامته في أماكن أخرى، يقوي ذلك الأزمة الداخلية التي يعانيها، فينعكس هذا على شعره طالباً الانفصال،

وإن لم يكن له شخصياً، لافتاً ذلك عبر توجيه الخطاب لغيره، فيتضح الانفصال في شعور الذات تجاه الآخر بكلِّ مايعنيه هنا الآخر عندما تجد تناقضاً بين الحلم والواقع.

إن هذا التأرجح بين أمرين هو الذي أظهر للنصِّ حركته الديناميكية، ليزاوج بين صورتين الذات ونوازعها، والواقع وتناسخه الإزدواجي عن عدة أمور، فوجد في هذا الاسلوب وسيلة لإستفراغ حمولاته الانفعالية.

يراوغ الشاعر في نصب شراك دلالات النص ليوهم المتلقي من خلال اقتراحه أنه يملك عصا السيطرة، وأنه قادر على مواجهة الحدث، وهذا التمركز بانشاء رأي في وقت الأزمة ما هو إلاَّ لتصغير حجم المشكلة وتقليصها، فدلالات النص لا تقف عند تيار واحد يمدها بالمكنون، وإنما ينتابها عدة تيارات تتجاذبها حمولات النص المعرفية، وهكذا هو الشاعر يزيحنا إلى مناطق اكثر غوراً وعمقاً.

التنازع في دلالة الانفصال في المقاطع والاتصال الدلاليّ:

تتضح دلالة التنازع لـ(الانفصال والاتصال) في النص عندما يأتي على مقاطع أربع بشكل مقطعي، لكن هذا الانفصال لا يعني انفصالاً بالدلالة، إذ تبقى القاسم المشترك والداعم الأساس الذي يشد جهة الاتصال بالنص وبمقاطعه، لتغدو هذه التشكيلة الشعرية عاملاً دالاً على التنازع المستمر في النص.

التنازع في الجمل الفعلية والاسمية:

إنَّ ما يعزز التنازع بين أمرين دلالياً تناوب الجمل الاسمية والفعلية، إذ لا يبدأ سطر بالفعل إلا وتبعه الآخر بالاسم، فيضخ طاقات الجمل الفعلية والاسمية في بنية النص التي يظهر التنازع فيها بين أمرين، فلا استقرار مكانيّ وروحيّ، وبهذا يعزز تناوب الحركة بالفعل في مقابل الثبات بالأسم، ليكون مع كل ثبات حركة، مّما يستوجب المسير.

يحدث الانفصال الزمني بانفصال جزئي عن الحياة بالعزلة وانفصال كلي بالموت، ويبدأ النص بالمستقبل المقترح، وتساعده الافعال المضارعة التي تعطي استمرارية بالحدث، وتنفذ به إلى المستقبل القريب الحدوث، وعندما يبدأ بالاقتراح فهو يقع ضمن تحديد نوع المستقبل، وكل ما سيأتي هو من قبيل المقترح، أي المستقبل الذي يخطط له لذات أخرى، فهي تعني كل ذات انسانية تقع ضمنها (أنتَ)، أو هي ذات الشاعر نفسه، فهو اقتراح موجه لنفسه كي يتخلص من تبعات الواقع المرير، ثم ينتقل إلى استدعاء الماضي عن طريق الذكرى كنوع من الاتصال بالماضي

والانفصال عن الحاضر، فيتم استدعاء الماضي أو تقريبه، وإن كان بعيداً يستدعي منه ما هو أجمل. ولم يكن الماضي مجرد استدعاء أو استحضار، بل ضغط مستمر على الحاضر، ضغط ما كان على ما هو كائن [١٧].

وبهذا يعمل على تجميد الحاضر في لحظة الاستدعاء، كون الحاضر لحظة متأزمة، يرتهن بها الصراع الداخلي للنفس، متخذة القرار الذي يبني عليه ما هو آت، سواءً كان سلباً أم ايجاباً. وبما أنها ذكريات عن المحب في الماضي وهي محببة للذات،فتقترن بأفعال التفضيل (ما أجمل) وبما أنه انفصال عن الحاضر، فهو نوع من الموت، لذا قارن غابات الذكرى اتساعا بالموت، إذ يقع في (متسعٍ لا يتناهى) هذا الزمن المتسع هو ما تطلبه الذات، وهي تجده في عالم الذكرى والخيال، وكلاهما موت من نوع ما. كما عاضدت هذه الدلالة في النص من خلال حركات الزمن، فالزمن بطيء الحركة بتنقلاته، فهو كالموت الذي يجثم على صدر الإنسان ولا يستطيع منه الفكاك.

يسعى النص إلى اعلان تماسكه امام رغبة الذات بالعزلة والانفصال، لذا فهو يصر على الاتصال من خلال أدواته، فيكمن الاتصال عن طريق الاتساق النصي وتكوينه بشكل متسق كتلة واحدة في مواجهة أي اعتراض وانفصال تثيره دلالة النص.

والاتساق: ((يترتب على وسائل تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط))[١٨]. فهو ذلك التماسك بين الاجزاء والاتصال الحاصل بينها. و ((الكيفية التي يحدث بها التماسك النصي بترابط عناصره وهو مفهوم دلالي يميل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص، وهي عناصر تحدده وتمنحه صفة النصانية))[١٩].

يظهر الاتساق بـ:

أ- الاتساق النحويّ بالاحالة بالضمائر وأدوات العطف.

ب- الاتساق المعجمي.

الضمائر:

يحصل التنازع بين الضمير المستتر (أنتَ) و (هو)، إذ يحدث الصراع والتجاذب بينهما الذي يظهره للعلن الضمير المتصل الهاء والكاف في: (تسكنها، ردائك، ادائك، ذراعيك، موتك، مجرتك)، والضمير التملكي مناط ضمن ما تملكه الذات ويعود إليها.

فالضمير الكاف عمل على تماسك الأسطر الشعرية داخلياً ولا سيما في آخر كلمة من السطر، إذ يشكل انتهاءً صوتياً مقيداً حركياً بالسكون. فالضمائر المتصلة تعزز ترابط النص بالنسبة لاتصاله بالكلمة الواحدة، وهذا الأمر هو الذي يعطيها زخمها التعبيريّ واتساقها الشكليّ.

ومن تقنيات المغايرة التي يُفعلها الشاعر أسلوب التجريد في الضمائر عند الالتفات إلى الضمير (انتَ) والمقصود الضمير (انا)، أو (نحن) فيضمن تنازعاً دلالياً من نوع آخر.

أدوات العطف:

تحضر هذه الأدوات في النص ومهمتها الوصل واتساق الكلام، فالوصل هو ((الوصل بين الجمل او عطف بعضها على بعض))[٢٠]. فيتشكل النص من مجموعة من الجمل أو التراكيب الكلامية المتطابقة، ويقسم العطف في هذا النص على قسمين؛ العطف الاضافيّ، والعطف السببيّ.

العطف الاضافيّ الذي يتكون من (الواو)، ولها الأثر الفاعل في اتساق النص، فيتم الربط بين العناصر التركيبية، وتؤدي إلى اتساقه وتماسكه، فتعمل على الربط بين صورتين يوجد بينهما اتحاد أو تشابه. وتشكل رابطاً اتساقياً للنص للمشاركة بين المعطوف والمعطوف عليه كما هو يتجمع في الحرف (و) في النص: (والموت تعانقه طيَّ ردائك/ والعزلة ماء غدير....) فـ(الوصل تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منتظم)[٢١].

الوصل السببيّ هو باستخدام أدوات التعليل أو السببية، فيكون ارتباطاً دلالياً كما في: (ولكي لا يصبح بينكما مغلوب أو غالب)، فالواو عنصر ربط للقضية، وهي وجود حل لمعاناة ذاتية.

المقارنة:

هي أن يقارن بين عنصرين عن طريق المشابهة أو المطابقة، وتنقسم على المطابقة، والتشابه، والمخالفة [٢٢]. وهنا يطابق بين العزلة والموت عندما يقول: ((العزلة ماء غدير/ يتأمل فيها النرجس فتنته وزوال شبابه/ والموت مناجاة للجسد تهدهده/ وتهون من اتعابه))

ومن أنواع المقارنة الأخرى تشبيه الموت بكائن مفترس، كذلك عندما يجمع بين الشيء وضده في: ((اهواء المرء وليدة مجرى لا يهدأ والعزلة ماء غدير))، وعندما يقارن بين الموت والذكرى في السعة واللاحدود واللازمن.

ومن انواع الاتساق ما يدعى بـ (الاتساق المعجمي) الذي يتكون عن طريق التقابل بين الايجاب والسلب والتكرار، فالتقابل يحدث هنا بما يصطلح عليه بالتقابل العكسي عندما يعطي معنيين مختلفين لشيء واحد[٢٣]. وفي النص تقابل للموت عندما يكون راحة للمرء، ولا يكون كذلك.

وتقابل تضادي عندما يجمع بين افعال التفضيل في (ما اجمل / ما اوحش / احسن / اردأ)، فضلاً عن تضادات أخرى (الخير/الشرير /مغلوب/ غالب/ الضيق/ متسع)، فالثنائية في التضاد تؤكد ثبات جانب وتنفي آخر الذي مهد لعلاقة قوية للنص عن طريق الدلالات المتناقضة، فالضد يظهر المعنى بصورة اوضح [٢٤]. فتتوالد ثنائيات تضادية تدعم الدلالة، وتقدح شرارة الحركة، وهي ثنائيات تشحن النص بحيويته، فيضمن استجابة المتلقي ودخوله في جلباب نصه، فتشعل العملية التواصلية فتيلها.

التكرير أو التكرار:

هو ((شكل من أشكال الاتساق المعجميّ، يتطلب إعادة عنصر معجميّ أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصراً مطلقاً أو اسماً عاماً))[٢٥]. فيتكون من تكرار للأفعال والاسماء والحروف والضمائر والجمل، وتكرار الجمل عندما يكرر (العزلة ماء غدير) لمرتين، وبهذا يؤكد حالتها، ويعطي مقوماتها الداعمة لاختيارها، وعندما يلح على كلمات بعينها لـ: (العزلة/الموت) معنى ذلك أنها بؤرة الحدث، ونقطة ارتكاز ما يحدث.

أما تكرار الحروف؛ فنجد ذلك واضحاً بتكرار حرف العطف (الواو)، ((فالشاعر لا يكرر شيئاً في النص إلاّ ويقصد أن يرسخ مقولة من خلال ذلك ويعزز رؤية يرى أنها جديرة بالالتفات))[٢٦].

الخاتمة:

تلخص خاتمة القصيدة فكرة الصراع في الحياة والموت ليكون الموت صراطاً ينقلنا إلى راحة جسدية، بل ينتقل إلى صراع آخر بين الروح والجسد، كما يخدم معنى العزلة السكون المترامي على أطراف الأسطر الشعرية، إذ تقوم القصيدة على إيقاع نفسيّ قائم على موقف شخصيّ في لحظة الحاضر، وإيقاع موضوعيّ متأتٍّ من تقسيم القصيدة على أربعة أقسام على أساس موضوع مهيمن.

إن الشاعر يدعونا عبر اقتراحه إلى الوعي بقيمة الحياة، وإذا اختار العزلة؛ فلأن العالم المعاصر بتناقضاته بات لا يصلنا منه إلا الشر والتدمير في إشاعة ثقافة من نوعٍ جديد تتنازعها هذه الأمور!!!.

نجد القصيدة تكاد تخلو من الألوان إلا بظهور واحد للون (الأزرق) في (ماء غدير/ يتآخى في زرقته) وفيه تنازع أيضاً بين ظهوره الرمزيّ والعلنيّ، وهو لون الماء ليعلن عن لون الحياة الدائم والممول الرسميّ لها، ومن هنا نرى أنَّ هذه العزلة تنقصها المباهج التي تكسوها الألوان المفعمة بالحياة، ولا عجب إن كان التنازع والحيرة فيها.

كما فيها اقتراحات مشروطة، وهي أشبه بالنصائح، تسير بشقين، تتبع بذلك القصيدة في ثنائيتها المزدوجة، فجاءت سطوره مثقلة بالصدمة؛ لأنها تجمع الإيجابيّ والسلبيّ وتنقلنا من هذا لذاك لنتأرجح بينهما ونتساءل: ماذا يريده من وراء هذا الجمع والازدواج؟!

كأنه يقول: كما اقترحت العزلة لذاتي، وعشت بعيداً عن همومي المثقلة بالوجع، اقترحها أيضاً لك، أو لا تدع هذا الاقتراح يتسرب إليك؛ لأنَّ العزلة نوع من الموت المؤجل، والحياة تكمن في المواجهة، فيضع حلاً مسبقاً عبر اقتراح العزلة، وإن كان اقتراحه ناجحاً لما داهمه وحش الموت خلسة، وأصبحت الذكرى عزاه الوحيد في جوه، وأصبح الجسد ضيقاً بمحنه.

الهوامش والمصادر والمراجع:

(١) قصائد من جزيرة مهجورة، فوزي كريم ،دار المدى، ٢٠٠١

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (نزع).

(٣) ينظر: معجم المعاني الجامع www.almaang.com

(٤) ينظر: الانعزال داء المستقبل ، عبد العزيز المحمد الذكير، الرياض، ٢٩/سبتمبر ٢٠١٦، www.alriyadh.com .

(٥) ينظر: الموسوعة الحرة. ar.m.wikipedia.org

(٦) ينظر: جدلية العزلة أو كتافيوباث، نزوى، ٢/ نوفمبر/٢٠١٤. www.nizwa.com

(٧) االمصدر نفسه.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) الأصوات الشعرية الفاعلة عضلياً هي التي ترقع كتب النقاد، حوار مع الشاعر من قبل عبد الرزاق الربيعي، مجلة نزوى، ٢/ نوفمبر/ ٢٠١٤ . www.nizwa.com

(١٠) نظر: لسان العرب، مادة (قرن).

(١١) سورة الزخرف، الآية (٣٦).

(١٢) فوزي كريم في عزلته المضيئة، علي جعفر العلاق، جريدة المشرق، ٢٠١٤/٦/٢٥. www.al_mashriq.net

(١٣) ينظر: لسان العرب، مادة (خلس) .

(١٤) ينظر: جدلية العزلة أوكتافيوباث،نزوى، ٢/ نوفمبر/٢٠١٤. www.nizwa.com

(١٥) ينظر: فن الحب، بحث في طبيعة الحب واشكاله ، أريك فروم ، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ، دار العودة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨١. : ٢٠.

(١٦) ينظر: الزمان الوجودي، د. عبد الرحمن بدوي ، طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية، ط٢ ، ١٩٥٥ : ١٧٠.

(١٧) ينظر: الزمن والقدر عند فوكنر،، ترجمة عنيد ثنوان رستم ، مجلة الجامعة ، موصل ، العراق ، العدد ١ ، لسنة ١٩٨٠م. : ٢٥-٢٦.

(١٨) الاتساق في الخطاب الشعري من شمولية النصية الى خصوصية التجربة الشعرية، ابراهيم بشار، مجلة المخبر، جامعة العربي بن مهيدي ام البواقي، ع٦، ٢٠١٠: ٢-٣.

(١٩) لسانيات النص، مدخل الى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩١: ١٥.

(٢٠) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، احمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٧: ٣/٣٥٤.

(٢١) لسانيات النص: ١٥.

(٢٢) ينظر: أثر عناصر الاتساق في تماسك النص، دراسة نصية من خلال سورة يوسف، ماجستير، جامعة مؤتة، محمود سليمان حسين الهواوشة، ٢٠٠٨: ٨٧.

(٢٣) ينظر: المصدر نفسه .

(٢٤) الاتساق الدلالي في قصيدة العشاء الاخير، تحسين فاضل عباس، مجلة مركز الدراسات الكوفة، ع٣٦، ٢٠١٥: ١٢١.

(٢٥) لسانيات النص: ٢٤.

(٢٦) في الافق الادونيسي، دراسة في تحليل الخطاب الشعري، سامح الرواشدة، ازمنة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٦: ٣٥.